المقتبس

الجزء الثاني من المجلد الثاني

صفر سنة ١٣٢٥ الموافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

امير سوده

١٨٠٣ - ١٨٨٢

يظن بعضهم ان العالم اذا بثّ فضل علمه والاديب اذا نشر آثار أدبه والاخلاقي اذا علّم الحكمة لاهل جيله وقبيله وصاحب الدعوة أو النزعة اذا نفخ في الناس من روحه ولم يظهر للعيان في الحال أثر مما قصدوا له ووقفوا نفوسهم عليه وانفقوا قد أعمارهم على خدمته يعدون في الخائبين الخاسرين وان العمل اذا لم يُنتج لاول الامر لا يُعد صاحبه رجلاً مذكوراً ولا عمله مبروراً مشكوراً كأن يطلبون من الغرس ان يثمر في يومه ومن الطفل ان يكبر بانفصاله عن أحشاء أمه وفاتهم ان لكل عمل عمره ولكل مؤثر أثره والله لا يضيع عمل عامل

يكاد يوقن كل ناظر في الحضارة الغربية وباحث في تاريخها منذ مئتي سنة انها ترمي بالتدريج الى ان تكون حضارة مادية بحتة لا ينظر فيها لغير الابيض والاصفر وان اهل الغرب على اختلاف أجناسهم وحكوماتهم لا يحبون ولا يريدون ان يحبوا

الا الحياة المادية ولا تراهم الا زاهدين في الحياة الادبية أو الروحية . فعلى نسبة غنى المرء عندهم وكثرة ذهبه تزداد حرمته والاعجاب به وكلما استحل أكل مال الضعيف وتفنن في هضم حق الفقير ولو تحت ستار الاحتكار أو الاستمار أو الشركات والمضاربات عد من ارباب العقول والمضاء وهذا من عيوب هذه المدنية الاوربية وما نخال ان الحال كانت كذلك على عهد الحضارة الاسلامية

الحياة المادية تكاد الآن تتغلب في كل بلد من المعمور على نسبة دخول نور العلوم وفضلات التمدن الحالي وتشهدها على اتمها في الولايات المتحدة الاميركية لان جميع أهلها من المهاجرين من أقطار العالم في طلب الرزق وقل فيهم مثل المهاجرة الأول الذين هاجروا اليها فراراً بنفوسهم من ظلم الحكومات الاوربية فتكوّن منهم والله اعلم على ما طبيعة تلك المملكة الضخمة من الخصب وأسباب الثروة التي لم يجتمع مثلها لمملكة أقوام يحلون بالدولار ويحيون به ويموتون في حبه ويفضلون كل شيء على مثاله ويسعون بكل ما يمكن الى نيله ولا يفكرون في غيره من الحياة الادبية التي لو نزعت من أمة لزالت عنها سعادتها وغبطتها ونعماؤها

ولقد كان أول من دعا من حكماء تلك الديار الى الاقلال من هذا التكالب الضار والجمع بين حب الذهب وحب الادب صاحب هذه الترجمة امبرسون حكيمها وعالمها العامل. دعا الى ذلك واهل طبقته من المفكرين في أمته فاثرت دعوته في بعض النفوس تأثيراً نظرياً ولكن لم تظهر آثارها العملية حتى الآن على ان كثيراً من زعماء الافكار وحملة العلم فيهم يتوفرون اليوم على قتل تلك الروح المادية ومحاربتها للتخفيف من شرر شرورها وفي طليعتهم الرئيس روزفلت[1] داهية الارض وعالم القياصرة والامبراطرة وأعقل الملكيين من المطلقين والمقيدين

نشأ امبرسون في حجر الدين وكان أبوه رئيساً دينياً من شيعة الموحدين[2]

(١) المقتبس ص ٢٧٩ م ١

(٢) الموحدون Les Unitaires هم شيعة من شيع البرتستانت ينفون التثليث ويقولون بوجود

فانصرف في أول أمره الى احتذاء مثال والده في الوعظ والارشاد ونال وظيفته في كلية هارفرد الجامعة فدرس فيها علم اللاهوت وغدا واعظاً موحداً في احدى بيع بوستون الا انه لم يلبث ان تخلى عن هذه الصناعة وذهب الى بلدة كونكورد[1] سنة ١٨٣٥ ينقطع للتعليم والالقاء على سبيل المذاكرات العامة والى تأليف الكتب وانشاء المقالات في المجلات وأسس لنفسه مجلة دينية فلسفية سماها الكمال وكانت تآليفه لاول عهده فلسفية محضة ولما زار انكلترا سنة ١٨٤٨ ورأى اهل العالم القديم وما عندهم من آثار وأمصار تنبهت فيه القوى النفسية فوضع تأليفاً كان سبباً لان لُقّب به « كارلايل أميركا » تكلم فيه على كثير من كبار الرجال ممن بلغوا مراتب الكمال على نحو ما تكلم كارلايل الانكليزي في كتابه « الابطال وعبادة الابطال » . ومن جملة كتب اميرسون التي تأنّقت بها شهرته كتاب سماه « الخُلُق الانكليزي » درس فيه أخلاق الامة الانكليزية من الوجه الاجتماعي والادبي وشرح فيه على أحسن طراز وألطفه واوضح أسلوب وافهمه الاسباب التي نجم عنها مجموع النقائص والعيوب التي يتألف منها الخُلُق البريطاني .

كان اميرسون كاتباً وشاعراً وهو الى الكتابة أميل وفيها امتن وارصن . منقطع القرين في سلاسة التعبير ولطف الاداء والتصوير مما كاد يبلغ به حد الاعجاز في لغته .

واحد أحد . وينزل أكثرهم في مقاطعة الماساشوست في الولايات المتحدة و بعضهم في انكلترا ومذهبهم أشبه بمذهب سوسين الايطالي القائل بعدم ألوهية المسيح والنافي ان فيه سراً الهياً . وربما كان عددهم يربو على مليوني نسمة . جاء في معجم القرن التاسع عشر الكبير للاروس : والموحدون أكثر شيع البرتستانت حرية فهم ولا جرم أكثرهم انصباغاً بصبغة الديمقراطية كما ان شيعة الكواكر اكثر الشيع البرتستانتية احساناً وحناناً وعطفاً على القانع والمتبرولكنهم أي الموحدون يكثرون من تغيير الكتاب المقدس

(١) احدى مدن الماساشوست الصغيرة لايتجاوز سكانها الخمسة آلاف وهي من أجل البقاع تحلو النزهة بنهرها العذب الصافي وغاباتها اللطيفة ولذلك اختارها كبار أهل العلم والأدب من الاميركان سكناً لهم وفيها الآن ماري ادي صاحبة ديانة العلم المسيحي واليها يحج اشياعها

وكان حكيماً مفكراً واخلاقياً عظيماً . قيل ان الوحدة التي مال اليها امبرسون وسمة الفيلسوف التي انقذته من الهموم الخارجية اتاحتا له ان يكون منه في القرن التاسع عشر رجل شبيه بموتين في القرن السادس عشر هذا كاثوليكي وذاك برتستانتي . فامبرسون حكيم كونتين وشارون الحكيمين الفرنسويين وشكسبير الشاعر الحكيم الانكليزي . ولقد أولع بدرس كتب مونتين ثم انتقل الى الاخذ من كتب شكسبير فهو مثلهما باحث من النظار وهو مثلهما في الابداع والعمل بما في فطرته بعيد الغور حسن التحليل جيد النقد نافذ البصيرة خالص من شوائب التقليد .

قال مترجموه انه جمع جميع الادوات التي تطلب للفلسفة ولم يتيسر له ان يحيلها الى طريقته . ومما امتاز به نقده احوال عصره لان طرق الحكومات الجمهورية تهلك الفرد في سبيل الجماعة فقام امبرسون وناهض في عصره هو وكبار ارباب العلم من اهل حلقته المتشبعين بافكاره امثال وتوروالكوت وشانغ وفرانك سانبون[1] وغيرهم المتكالبين على الغنى المستحلين للمطامع . وقام يقول للفرد : اعتقد بما يوحيه اليك قلبك . ورأى ان الصناعات تقضي على عالم الكمال فأنشأ يقول ان العالم لا يحيا حياة طيبة رغيدة الا اذا نبذ الانانية وطهّر حياته من الشهوات البدنية ليبلغ الزلفى من رب العباد براً تقياً . فامبرسون هو صاحب الفلسفة المعنوية التي تدعو الى المعارف والآداب *Transcendantalisme* وقد وصفته مجلة بلاكوماكازين بقولها : « كان امبرسون من اسمح الناس خُلُقاً وأوسعهم علماً وأحسنهم رأياً واسمحهم فكراً وآلفهم بالفطرة واخلصهم من الاوهام المائجة المتغيرة ليس له نظرية يحيد عنها ولا طريقة يصعب الاخذ بها ولا ارب في القبض على قياد أحد . يطلب للمرء ان يكون لنفسه وان لا يعتمد الا عليها وان يوقرها ويحترمها على مثال كبار الرجال ممن لهم ما له وعليهم ما عليه . فان قام امبرسون بمبدإ

(١) حدثني صديقي أمين ريحاني ان سانبون لايزال حياً وقد زاره في مدينة كونكورد وهو شيخ كبير يعد آخر اشياع امبرسون وتلاميذه . قال وقد أراني دار امبرسون ومجرفة كتابته وهي الآن محفوظة على حالها يوم كان امبرسون حياً تزار للفرجة عليها

عام استنتج من فلسفته أو تصور انه أتى امراً جديداً لم يسبق اليه سابق فهو انه دعا الى اعادة الانسان الى شرفه في نظر أخيه والاهابة بالناس الى الغيرية وزحزحتهم عن الانانية ليكون المرء كبيراً في نفسه معتمداً عليها مستقلاً كل الاستقلال في افكاره وافعاله وهذه هي الشروط الحقيقية في القوة الشخصية والخير الاجتماعي

وما نرانا مخطئين لو عقلنا ان فلسفة اميرسون النظرية تتعاصى على التحليل فيقتضي حلها بحسب ما يوحي اليه وحي الوقت وان يرجع الى حلها في مشاكل المسائل المتعلقة بما وراء المادة واذا تعاورتها بالحذف والتنقيص تُفقدها رُواءها وتضع سناها وسناءها فعليك يا هذا ان تقبلها على علاتها وتشربها على كدوراتها اذ ان حسنها ان تبقى على رسمها كما صدرت عن ابي عذرتها وهو يسير في الفلوات ويصعد الآكام والعقبات ويوغل في الحراج والنابات ويملها بحسب ما تنزل عليه من السماء ويستنشقها من الهواء ويسمعها من حفيف الاوراق ويتناولها من أرج المروج الخضراء ويقرأوها في سطور المسايل والتيار . فان انت حذفت منها اضطرابها وارتخاءها وتلون صورها ولهجاتها وارتجالها ومواضع الوقف فيها تُصاب بآفة وعاهة . ولذا كان علينا ان نقبل تعاليم اميرسون بالحرف بدون ان نغير منها شيئاً فهو ابن الوحدة والتأمل »

شعراء النصرانية في الجاهلية

عُني حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منذ برهة باظهار فضل شعراء النصرانية في عهد الجاهلية وهو نعم العمل لو توخى في ذلك صراط الحق واتبع سنن التاريخ المسنون نقلاً ورواية . الا انه حفظهُ الله قد أخذ على نفسه امراً هو في غاية الصعوبة والمنت ألا وهو تنصير بعض شعراء الجاهلية ممن لم يكن لهم من النصرانية حظ . فلا غرو انه يعد هذا العمل من قبيل تنصير من كان على الضلال مبتغياً بذلك القربى والزلفى من رب العباد واكتساب الاجر والثواب في الدنيا والمآب . غير انك